

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

{وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَفَهَا لَهُمْ} ١٨/٧/١٤٤١

أيها المسلمون: إن النصوص الكثيرة في كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ تبين حُسن جزاء الشهداء، وعظم مَثُوبَتِهِمْ عند الله. وعظم الثمن يدل على عظم المُثْمَن. ومن فضل الله على المؤمنين أن جعل بعض أنواع الأمراض شهادة. ومن ذلك: ما أخرجه أبو داود، وصححه العلامة الألباني رَحِمَهُ اللهُ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَتِيكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ جَاءَ يَعُودُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ ثَابِتٍ، فَوَجَدَهُ قَدْ غَلِبَ، فَصَاحَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَلَمْ يُجِبْهُ، فَاسْتَرْجَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَقَالَ: غَلِبْنَا عَلَيْكَ يَا أَبَا الرَّبِيعِ، فَصَاحَ النَّسْوَةُ وَبَكَينَ، فَجَعَلَ ابْنُ عَتِيكٍ يُسَكِّتُهُنَّ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: دَعُهُنَّ، فَإِذَا وَجَبَ فَلَا تَبْكِينَ بَاكِيَةً، قَالُوا: وَمَا الْوَجُوبُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: الْمَوْتُ. قَالَتِ ابْنَتُهُ: وَاللَّهِ إِنْ كُنْتُ لَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ شَهِيدًا، فَإِنَّكَ كُنْتَ قَدْ قَضَيْتَ جِهَازَكَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ أَوْقَعَ أَجْرَهُ عَلَى قَدْرِ نَبِيِّهِ، وَمَا تَعْدُونَ الشَّهَادَةَ؟» قَالُوا: الْقَتْلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَعَالَى، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: الشَّهَادَةُ سَبْعٌ سِوَى الْقَتْلِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ: الْمَطْعُونُ شَهِيدٌ، وَالغَرِقُ شَهِيدٌ، وَصَاحِبُ ذَاتِ الْجَنْبِ شَهِيدٌ، وَالْمَبْطُونُ شَهِيدٌ، وَصَاحِبُ الْحَرِيقِ شَهِيدٌ، وَالَّذِي يَمُوتُ تَحْتَ الْهَدْمِ شَهِيدٌ، وَالْمَرْأَةُ تَمُوتُ بِجَمْعٍ شَهِيدٌ».

وقد أَلْحَقَ العلماءُ مَنْ مَاتَ فِي حَوَادِثِ السِّيَارَاتِ بِالَّذِي يَمُوتُ تَحْتَ الْهَدْمِ. وكذلك مِنَ الشَّهَدَاءِ: مَنْ مَاتَ دُونَ مَالِهِ، أَوْ دِينِهِ أَوْ دَمِهِ، أَوْ أَهْلِهِ، أَخْرَجَ أَهْلُ السُّنَنِ، وَصَحَّحَهُ الْعَلَمَةُ الْأَلْبَانِي رَحِمَهُ اللهُ عَنْ سَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ دِينِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ دَمِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ أَهْلِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ».

أيها المسلمون: إن الدعاء يَنْفَعُ بِإِذْنِ اللَّهِ فِيمَا لَمْ يَنْزِلْ مِنَ الْبَلَاءِ فَيُدْفَعُهُ، وَفِيمَا نَزَلَ فَيَرْفَعُهُ، أَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ، وَصَحَّحَهُ الْعَلَمَةُ الْأَلْبَانِي رَحِمَهُ اللهُ عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ الدُّعَاءَ يَنْفَعُ مِمَّا نَزَلَ وَمِمَّا لَمْ يَنْزِلْ، فَعَلَيْكُمْ عِبَادَ اللَّهِ بِالْدُّعَاءِ».

وهذه ثلاثة عشر سبباً للدفع البلاء قبل نزوله، ولرفعه بعد نزوله:

السبب الأول: الدعاء، أخرج أبو داود، وصححه العلامة الألباني رَحِمَهُ اللهُ عَنْ أَبَانَ بْنِ عُثْمَانَ عَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ قَالَ: بِسْمِ اللَّهِ الَّذِي لَا يَضُرُّهُ مَعَ اسْمِهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ» ثَلَاثَ مَرَّاتٍ لَمْ تُصِبْهُ فَجَاءَةٌ بَلَاءٍ حَتَّى يُصْبِحَ، وَمَنْ قَالَهَا حِينَ يُصْبِحُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ لَمْ تُصِبْهُ فَجَاءَةٌ بَلَاءٍ حَتَّى يُمْسِيَ». وَقَالَ: فَأَصَابَ أَبَانَ بْنَ عُثْمَانَ الْفَالِجُ - يَعْنِي الشَّلْلَ - فَجَعَلَ الرَّجُلُ الَّذِي سَمِعَ مِنْهُ الْحَدِيثَ - وَهُوَ: مُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ - يَنْظُرُ إِلَيْهِ، فَقَالَ لَهُ: مَا لَكَ تَنْظُرُ إِلَيَّ؟! فَوَاللَّهِ، مَا كَذَبْتُ عَلَى عُثْمَانَ، وَلَا كَذَبَ عُثْمَانُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَلَكِنَّ الْيَوْمَ الَّذِي أَصَابَنِي فِيهِ مَا أَصَابَنِي غَضِبْتُ فَنَسِيتُ أَنْ أَقُولَهَا. قَالَ الْقُرْطُبِيُّ رَحِمَهُ اللهُ كَمَا فِي: الْفَتْوحَاتِ الرَّبَانِيَّةِ «لَا بِنَ عَلَّانَ: هَذَا خَبْرٌ صَحِيحٌ، وَقَوْلٌ صَادِقٌ، عَلِمْنَا دَلِيلَهُ دَلِيلًا وَتَجْرِبَةً، فَإِنِّي مِنْذُ سَمَعْتُهُ عَمَلْتُ بِهِ فَلَمْ يَضُرَّنِي شَيْءٌ إِلَى أَنْ تَرَكْتُهُ، فَلَدَغْتَنِي عَقْرَبٌ بِالْمَدِينَةِ لَيْلًا، فَتَفَكَّرْتُ، فَإِذَا أَنَا قَدْ نَسِيتُ أَنْ أَتَعَوَّذَ بِتِلْكَ الْكَلِمَاتِ.

الثاني: توحيد الله تعالى، قال الله عز وجل: {فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِكِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ}. فإذا كان الكفار لما أخلصوا الدعاء لله أنجاهم فكيف بالمسلمين؟!

قال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ فِي كِتَابِهِ: «الْفَوَائِدُ»: «فَمَا دُفِعَتْ شِدَائِدُ الدُّنْيَا بِمِثْلِ التَّوْحِيدِ، وَلِذَلِكَ كَانَ دُعَاءُ الْكَرْبِ بِالتَّوْحِيدِ، وَدَعْوَةُ ذِي النُّونِ الَّتِي مَا دَعَا بِهَا مَكْرُوبٌ إِلَّا فَرَّجَ اللَّهُ كَرْبَهُ بِالتَّوْحِيدِ. فَلَا يُلْقِي فِي الْكَرْبِ الْعِظَامَ إِلَّا الشَّرْكَ، وَلَا يُنْجِي مِنْهَا إِلَّا التَّوْحِيدَ، فَهُوَ مَفْرَعُ الْخَلِيقَةِ وَمَلْجَأُهَا وَحِصْنُهَا وَغِيَاثُهَا، وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ.

الثالث: المحافظة على الأذكار، لاسيما ذكر الخروج من البيت، أخرج أبو داود، وصححه العلامة الألباني رَحِمَهُ اللهُ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِذَا خَرَجَ الرَّجُلُ مِنْ بَيْتِهِ فَقَالَ: بِسْمِ اللَّهِ، تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ، لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ». يُقَالُ حِينَئِذٍ: هُدَيْتَ، وَكُفَيْتَ، وَوُقِيْتَ، فَتَتَنَحَّى لَهُ الشَّيَاطِينُ، فَيَقُولُ لَهُ شَيْطَانٌ آخَرٌ: كَيْفَ لَكَ بِرَجُلٍ قَدْ هُدِيَ وَكُفِيَ وَوُقِيَ؟».

الرابع: عدم دخول الأماكن التي فيها الوباء، أخرج الشيخان عن عبد الله بن عامر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: «أَنَّ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ خَرَجَ إِلَى الشَّامِ، فَلَمَّا كَانَ بِسَرْعَ بَلَّغَهُ أَنَّ الْوَبَاءَ قَدْ وَقَعَ بِالشَّامِ، فَأَخْبَرَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِذَا سَمِعْتُمْ بِهِ بِأَرْضٍ

فلا تَقْدُمُوا عَلَيْهِ، وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا، فَلَا تَخْرُجُوا فِرَارًا مِنْهُ». وأخرج الشيخان أيضًا عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لا يُورَدُ الْمُمرِضُ عَلَى الْمُصِحِّ».

الخامس: صنائع المعروف: أخرج الحاكم في «مستدرکه»، وصححه العلامة الألباني رحمته الله في «صحيح الجامع» عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «صنائع المعروف تقي مصارع السوء، والآفات، والهلكات، وأهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة».

قال العلامة ابن القيم رحمته الله في «زاد المعاد»: «ومن أعظم علاجات المرضى: فعل الخير والإحسان، والذكر، والدعاء، والتضرع، والابتهاج إلى الله، والتوبة، ولهذه الأمور تأثير في دفع العلة، وحصول الشفاء؛ أعظم من الأدوية الطبيعية، ولكن بحسب استعداد النفس، وقبولها، وعقيدتها في ذلك ونفعه».

السادس: تغطية الإناء وإيكاء السقاء: أخرج مسلم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «غطوا الإناء، وأوكوا السقاء، فإن في السنة ليلة ينزل فيها وباء، لا يمرض بإناء ليس عليه غطاء أو سقاء ليس عليه وكاء إلا نزل فيه من ذلك الوباء». قال العلامة ابن القيم رحمته الله في «زاد المعاد»: «وهذا مما لا تناله علوم الأطباء ومعارفهم، وقد عرفه من عرفه [من] عقلاء الناس بالتجربة».

السابع: المحافظة على الصلوات الخمس، وخصوصاً صلاة الصبح، أخرج مسلم وغيره عن جندب بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من صلى الصبح فهو في ذمة الله».

الثامن: دعاء من رأى مبتلى، أخرج الترمذي، وحسنه العلامة الألباني رحمته الله، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من رأى مبتلى فقال الحمد لله الذي عافاني مما ابتلاك به وفضلني على كثير ممن خلق تفضيلاً لم يصبه ذلك البلاء».

التاسع: قراءة سورة الإخلاص والمعوذتين ثلاث مرات في الصباح والمساء، أخرج أبو داود والترمذي وحسنه العلامة الألباني رحمته الله عن حبيب رضي الله عنه أنه قال: «خرجنا في ليلة مطر، وظلمة شديدة، نطلب رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصلي لنا، فأدركناه، فقال: أصليتم؟ فلم أقل شيئاً، فقال: قل، فلم أقل شيئاً، ثم قال: قل، فلم أقل شيئاً، ثم قال: قل، فقلت: يا رسول الله ما أقول؟ قال: قل: قل هو الله أحد، والمعوذتين حين تمسي، وحين تصبح، ثلاث مرات تكفيك من كل شيء».

قَالَ الطَّبِيُّ رَحِمَهُ اللهُ كَمَا فِي «مِرْقَاةِ الْمَفَاتِيحِ»: أَيُّ تَدْفَعُ عَنْكَ كُلَّ سُوءٍ.

العاشر: قِرَاءَةُ الْآيَتَيْنِ الْآخِرَتَيْنِ مِنْ سُورَةِ الْبَقَرَةِ لَيْلًا، أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَنْ قَرَأَ بِالْآيَتَيْنِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ فِي لَيْلَةٍ كَفَتَاهُ».

قال بدر الدين العيني رَحِمَهُ اللهُ فِي: «عَمْدَةُ الْقَارِي»: قَوْلُهُ: (كَفَتَاهُ)، أَيُّ: عَنِ قِيَامِ اللَّيْلِ، وَقِيلَ: مَا يَكُونُ مِنَ الْآفَاتِ تِلْكَ اللَّيْلَةُ. الْحَادِي عَشَرَ: سَوَّالُ اللَّهِ الْعَافِيَةَ، أَخْرَجَ أَبُو دَاوُدَ، وَصَحَّحَهُ الْعَلَامَةُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدْعُ هُوَ لِإِذْعَانِ الدَّعَوَاتِ حِينَ يُمَسِّي وَحِينَ يُصْبِحُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فِي دِينِي وَدُنْيَايَ وَأَهْلِي وَمَالِي، اللَّهُمَّ اسْتُرْ عَوْرَتِي، وَآمِنْ رَوْعَاتِي، اللَّهُمَّ احْفَظْنِي مِنْ بَيْنِ يَدَيْي وَمِنْ خَلْفِي، وَعَنْ يَمِينِي وَعَنْ شِمَالِي وَمِنْ فَوْقِي، وَأَعُوذُ بِعِظَمَتِكَ أَنْ أُغْتَالَ مِنْ تَحْتِي». قَالَ الطَّبِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي «شَرْحِ الْمَشْكَاةِ»: الْعَافِيَةُ: أَنْ يَسْلَمَ مِنَ الْأَسْقَامِ وَالْبَلَايَا.

الثاني عشر: التَّعَوُّذُ بِاللَّهِ مِنْ زَوَالِ نِعْمَتِهِ، وَتَحَوُّلِ عَافِيَتِهِ، أَخْرَجَ مُسْلِمٌ وَأَبُو دَاوُدَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: كَانَ مِنْ دُعَاءِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ زَوَالِ نِعْمَتِكَ، وَتَحَوُّلِ عَافِيَتِكَ، وَفُجَاءَةِ نِقْمَتِكَ، وَجَمِيعِ سَخَطِكَ».

قَالَ الطَّبِيُّ رَحِمَهُ اللهُ كَمَا فِي «شَرْحِ مَشْكَاةِ الْمَصَابِيحِ»: (وَتَحَوُّلِ عَافِيَتِكَ)، أَيُّ: تَبَدُّلِ مَا رَزَقْتَنِي مِنَ الْعَافِيَةِ إِلَى الْبَلَاءِ وَالذَّاهِيَةِ.

الثالث عشر: التَّسْبِيحُ وَالِاسْتِغْفَارُ، قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: {وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبُهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ}، وَقَالَ جَل وَعَلَا عَنْ يُونُسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: {فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ}، قَالَ الْإِمَامُ الطَّبْرِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي «تَفْسِيرِهِ»: كَانَ مِنَ الذَّاكِرِينَ اللَّهَ قَبْلَ الْبَلَاءِ، فَذَكَرَهُ اللَّهُ فِي حَالِ الْبَلَاءِ، فَأَنْقَذَهُ وَنَجَّاهُ. أَهْدَى أَخْرَجَ أَبُو نَعِيمٍ فِي «حَلِيَةِ الْأَوْلِيَاءِ»: لَمْ أَرَأَنَّكَ لِلْوَبَاءِ مِنَ التَّسْبِيحِ.

ومما يجدر التنبيه عليه: عدم نشر الإشاعات، وإرعاب الناس، قال الله تعالى: {وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَدْعَاؤُهُ بِهِ وَكَوَرُدُّهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ}. فالواجب التثبت وعدم نشر الإشاعات، بل الرجوع إلى المصادر الموثوقة. أَخْرَجَ مُسْلِمٌ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: جَمَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْنَ الظُّهْرِ وَالْعَصْرِ وَالْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ بِالْمَدِينَةِ مِنْ غَيْرِ خَوْفٍ وَلَا مَطَرٍ. فَقِيلَ لِابْنِ عَبَّاسٍ: مَا أَرَادَ إِلَى ذَلِكَ؟ قَالَ: أَرَادَ أَنْ لَا يُحْرِجَ أُمَّتَهُ».

وأخرج الشيخان عنه رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ صَلَّى بِالْمَدِينَةِ سَبْعًا وَثَمَانِيًا، الظُّهْرَ وَالْعَصْرَ، وَالْمَغْرِبَ وَالْعِشَاءَ. فَقَالَ أَيُّوبُ: لَعَلَّ فِي لَيْلَةٍ مَطِيرَةٌ؟ قَالَ: عَسَى.